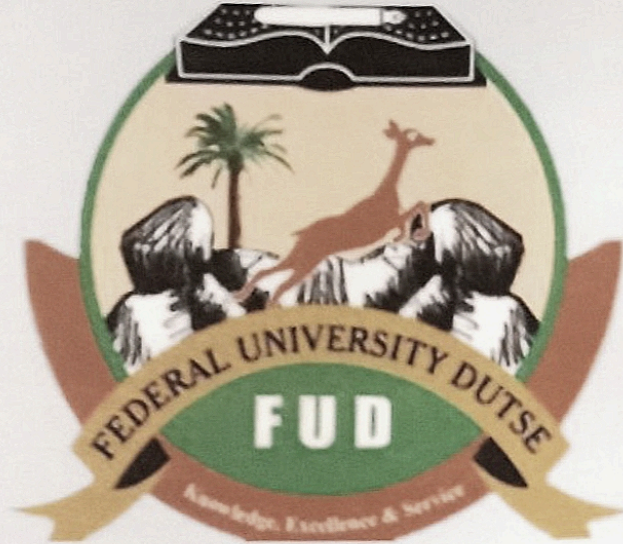


النحيم

مجلة اللغة العربية والدراسات الأدبية



الترقيم الدولي: ٢٨١٤-١٨٥٧

إصدار شعبة اللغة العربية واللسانيات،

قسم اللغة الإنجليزية واللسانيات،

كلية الفنون والعلوم الإنسانية،

الجامعة الفدرالية، دوطي، ولاية جغوا، نيجيريا

المجلد الثاني، العدد الأول ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٢م



التقديم والتأخير لدي إسماعيل هبة الله: دراسة انزياحية في ضوء فن الغزل

مجتبى يوسف بتورى

المحاضر بقسم الغمر اللغوي جامعة إلورن نيجيريا

yusuf.mb@unilorin.edu.ng

المقدمة:

اقتضت حركة التحليل العلمي للإنتاج الفكري عقب القرن العشرين شعره ونثره بإعادة خرائط التحليل وتعديل كيفية الكشف عن طموحات مستويات الإبداع والتعليل، ومن بين ما فازت بها دنيا الدراسات النقدية وظفرت بها فضاء عالم الفنون العلمية واللغوية والأدبية تحت تعديل وتطوير ما يدعى بالانزياح، وقد نبت نباتا حسنا تحت جوار ما يعرف الأمس بالعدول أو الاتساع أو المجاز أو نقول، إنه عاش ضمن صنوف الموضوعات البلاغية القديمة قبل أن يشهد ميلاد الاستقلال.

يتمحور المقال حول العناصر التالية:

- مفهوم الانزياح:
- نبذة عن حياة الشاعر هبة الله إسماعيل
- التقديم والتأخير من حيث المدلول المعجمي والاصطلاحي:
- عرض القصيدة :
- صور من المظاهر التي تأتي فيها التقديم ودراسته

مفهوم الانزياح:

فما هو الانزياح؟ إن الباحثين والنقاد لم يتفقوا في أصل الفعل كما لم يتحدوا في المعنى اللغوي الذي يفسره المصطلح، فمن قائل إنه يعود إلى فعل نزع والذي يعنى به البعد والنفاد أو الانتقال^١، ومن قائل إن مصدر الفعل ومنحدر المصطلح يرجع إلى فعل زيح والذي يقصد به الذهاب والبعد^٢. أما الفريق الأول فأسبقهم الباحثة "صونيا لوصيف" عند تحديدها المفهوم اللغوي للفظ حيث



تقول: "جاء في اللسان أن أصل الفعل الانزياح من نزح الشيء ينزح نزحاً ونزوحاً أي بعد وشيء نُزِحَ ونُزِوِحَ ونازح، أنشد ثعلب:

إن المذلة منزل نزح * عن دار قومك فاترك شتمي

ونزحت الدار فهي تنزح نزوحاً إذا بعد وقوم منازيح، قال أبو ذؤيب:

وصرح الموت عن غلب كأهم * حرب يدافعها الساقى منازيح

ونزح به وبلد نازح ووصل نازح أي بعيد وفي حديث سطيح: عبد المسيح جاء من بلد نزح أي بعيد، ففعل بمعنى فاعل^٢، هذا بالنسبة للاشتقاق، وأما عن المعنى فقد أفادت بأن اللفظ لا يتعدى واحداً من المعاني الآتية؛ إما أن يأتي بمعنى البعد والنفاد حسب تفسير ابن منظور، وإما أن يأتي بمعنى البئر الفارغة التي نفذ ماؤها، أو الانتقال من معنى إلى معنى آخر حسب تأويل صاحب معجم اللغة العربية المعاصرة^٣، واللفظ بالنسبة للدكتور علي أكبر محسني لم يخرج عن الإطار ما أشار زميلته عليه من ناحية الاشتقاق وحتى ناحية المعنى، والدليل ما نصه "جاء من تعريف هذا المصطلح في لسان العرب: نزح الشيء ينزح نزحاً ونزوحاً أي بعد، ونزحت الدار فهي تنزح نزوحاً إذا بعدت إنما جمع منازح، وهي تأتي إلى الماء عن بعد ونزح به وأنزحه وبعد نازح ووصل نازح أي بعيد^٤.

وأما الفريق الثاني أو الأخير فهم الذين ذهبوا إلى أن أصل الفعل كان من زاح أو زيح والدليل ما نصه: "الانزياح لغة كان في الجذر (زيح)، زاح الشيء يزيح زيحاً وزُيُوحاً وزِيْحَاناً وانزاح: إذا ذهب وتباعد"^٥؛ لكن لم يكن هذا الكاتب وحده الذي اعتقد هذا المعتقد إذ نجد علي نظري كاتب "ظاهرة الانزياح في شعر أدونيس" يعزي وينسب نفس الفكرة إلى ابن منظور والفيروزآبادي في معجمهما^٦.

وإذا أمعنا إلى فكرة المذهبين بالدقة والتؤدة ندرك بكل وضوح أن أصحاب الفكرة الأولى وإن كانت صحيحة من الجانب المعنوي كما زعموا؛ فإن الجانب التطبيقي يحتاج إلى تكلف واعتساف وكدّ الذهن أو إتعاب الحصييلة، فهو مثلاً ممكن تأويل معنى اللفظ إلى البعد والانتقال والنفاد ... إلى آخر ما هنالك، أما تطبيقياً فنلاحظ الثقل عند جريان الميزان الصرفي عليه والتعسير إرجاع المصطلح إلى أصله.



فالفعل نرح كما اعتقدوا المصدر الثلاثي منه يكون نزحاً ونزوحاً، كما يكون مصدر المزيد بحرف منه أنرح /إنزاحاً وبحرفين أنرح أو انزاح / أنزاحاً أو انزوحاً، بهذا يبدو أن التغيير والتصريف فعل نرح إلى الخماسي المزيد بحرفين والذي يفيد معنى المطاوعة لا يمكن تأويله على النهج الصرفي مطلقاً. ولأجل هذا فإن الباحث يرى تعريف سليم سعداني "كاتب الانزياح في الشعر الصوفي" وشريكه علي نظري كاتب ظاهرة الانزياح في شعر أدونيس" في المعنى اللغوي للفظ هو أحسن نطقاً وأنسب وزناً.

واللفظ من حيث الاصطلاح: هو "الخروج عن قواعد اللغة وعلى المؤلف من التعبير والتركيب، ومخالفة المقاييس المتعارف عليها التماساً لجمال الأداء وروعته".^٨

نبذة عن حياة الشاعر هبة الله إسماعيل

شهد الشاعر هبة الله إسماعيل عبد الله بن مغداد نور الحياة في أواخر السبعينيات في القرن العشرين ببلدة (GBOLUOKO)، التابعة لبلدة إيجبا ولاية كوار نيجيريا، وهي قرية صغيرة من حيث اتساعها وكبيرة من حيث أبنائها وبركة جيرانها، ازدحم فيها التجار المجاورون وبعض العلماء العباقرة المتصوفين لخدمة ربحهم وتفاني في عبادته.

نشأ الشاعر تحت كفالة إسلامية هادفة في بيت العلم والتجارة على غرار الطريق المعهود له في الحارة حتى فتح الله بصيرته لقراءة القرآن الكريم قبل أن ينتقل به والده إلى لاغوس لإتمام ما تبقى من القرآن بمدرسة نور الإسلام الإسلامية لعمه، وبعد سنتين شاء الله أن يكمل قرائته فيها بالإضافة إلى بعض مبادئ الدراسة الإسلامية قبل أن يلتحق بمدرسة الرشاد الإلهية لمواصلة الدراسات العربية وهناك حصل على الشهادة الإعدادية والثانوية ما بين عام ١٩٩٨م و٢٠٠١م. ولرغبة شاعرنا الشديدة تجاه العلم والمعرفة بجامعة أحمد بلو زاريا حيث حصل على شهادة الدبلوم في المكتبة وعلوم الإعلام، ثم الأخرى في الإعلام والصحافة من عام ٢٠٠٦/٢٠١١م، وللشاعر إضافة إلى كل ما سبق إسهامات ممتازة أخرى تنبه عن مدى تضلعه في لغة الضاد ومهرجاناتها الإسلامية والثقافية، منها مشاركته في الندوات العلمية داخل لاغوس وخارجها، ومنها دواوين الشعر العربي، مثل ديوانه المرأة، وحديث النفس، والمشكاة.



التقديم والتأخير من حيث المدلول المعجمي والاصطلاحي:

التقديم لغة : هو عكس التأخير وخلافه وهو مصدر الفعل قَدَّمَ تقول قَدَّم قومه يقدمهم، ومنه: قادمة الرحل نقيض آخرته، وفلان قدم في هذا الأمر سابقة تقدم، ومضى قدما: لا يتثنى وهو المضي أمام ؛ ورجل مقدم من قوم مقاديم، وهؤلاء القادمون والقدام، وقدمت خير مقدم.^٩ وهو في الاصطلاح: "تبادل في مواقع الكلمات بحيث تترك الكلمة مكانها في المقدمة لتحل كلمة أخرى؛ وذلك لتؤدي غرضا بلاغيا ما كانت لتؤدي لو أنها بقيت في مكانها المحدد الذي اقتضته قاعدة الانضباط اللغوي."^{١٠}

ومما يجب التقديم فيه وهو أصل : الفعل مع الفاعل والمبتدأ مع الخبر والفاعل مع المفعول به، وبقية الفضلات والمكملات، وقد يطرأ لهذا التقديم أمور تجعلها مؤخرا أو يقول الباحث علة يقتضيها السياق وهذه العلة قد تكون نحوية أو بلاغية أو عروضية مفادها ترجع إلى بلاغة الانزياح؛ كتقديم المفعول به على الفاعل والفعل لإرادة الحصر البلاغي نحو- زيدا صككت، وفي المدرسة طلاب، حيث قدم المفعول في المثال الأول والخبر على المبتدأ في الأخير تجنباً للابتداء بالنكرة.

أما التأخير لغة: هو مصدر أخر وخلاف التقديم ومقابله، قال تعالى: "بما قدم وأخر" (القيامة ١٣)^{١١} أما اصطلاحاً : فالتأخير في الاستعمال النحوي حالة من التغيير تطرأ على جزء من أجزاء الجملة، وتوجب وضعه في موضوع لم يكن له في الأصل، وذلك كالمبتدأ في الجملة فإن موضعه في أول الجملة وبدائيتها نحو "المصلون في المسجد" فالمصلون هو المبتدأ في الجملة، يتوقع أن يأتي في بداية الجملة، ولكن قد يطرأ عليه ما يوجب تغيير حكمه من التقديم إلى التأخير كما لو نكر بحذف (أل)، وفي مثل هذا يقال يجب تأخيره وتقديم الخبر فنقول "في المسجد مصلون" فيقال عن المبتدأ إنه مؤخر، وقد يكون التأخير واقعا للكلمة ابتداء من دون طارئ، وهذا هو القصد مثل تأخير الخبر عن المبتدأ، والفاعل عن الفعل والمفعول عنهما والحال عن فعله وصاحبه والتميز عن مميّزه.^{١٢}

والتقديم والتأخير في هذا المضممار "أسلوب من أساليب التعبير في اللغة العربية"^{١٣}، وهو وثيق الصلة بقواعد النحو العربي ولعل هذا هو الذي دفع "جان كوهان" تسميته بالانزياح النحوي،^{١٤} وكما وصفه عبد القاهر الجرجاني: "باب من الأبواب التي تظهر فيها مزية الكلام ويعلو بها أسلوب على أسلوب ويبدو بها إعجاز القرآن"^{١٥} هذا ما يمت بالنثر القولي، وأما ما يتصل بالفن الشعري فقد أعرب عن البلاغة الكامنة فيه بموضع آخر حيث قال:.. ولا تزال ترى شعرا يروك مسمعه



ويلطف لديك موقعه ثم تنظر فتجد سبب رقتك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وسهل اللفظ من مكان إلى مكان^{١٦} وفائدة التقديم عند النحويين يختلف عن غاية المرجو عند البلاغيين أو الانزياحيين.

وأنصح الدليل على هذا نص مهندس النحو العربي سيبويه رحمه الله رحمة واسعة حيث يقول: "كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم، وهم يبيانه أعمى، وإن كان جميعاً يهمهم ويعينهم"^{١٧} فالتقديم بالنظرة سيبويه إنما يكون للعناية والاهتمام بالمقدم سواء تقدم المفعول على الفاعل أم على الفعل والفاعل معاً، أم على ما أصله مبتدأ وخبر هذا من ناحية النحو، وأما بالنسبة لسره البلاغي فقد أفادنا غالب النوري بذلك حيث ينص "... فهم يقولون عن أسباب تقديم المسند إليه لكون ذكره أهم، إما لأنه الأصل ولا مقتضى للانزياح عنه، وإما ليتمكن الخبر في ذهن السامع، لأن في المبتدأ تشويقاً إليه، وإما لتعجيل المسرة أو لتعجيل المساءة، وإما لإيهام أنه لا يزول عن الخاطر أو أنه يستلذ، فهو إلى الذكر أقرب، أو لإظهار تعظيمه أو تحقيره ..."^{١٨}.

وفي مسوغات تقديم المسند (الخبر) يقول المراغي: "يقدم المسند إما لتخصيصه بالمسند إليه، في نحو قوله تعالى: "لكم دينكم ولي دين"، و قوله تعالى: "الله ملك السموات والأرض"، و قوله تعالى: قوله تعالى: "لا فيها غول" قوله تعالى: "لا ريب فيه". وإما للتنبيه من أول الأمر على أنه خبر لا نعت مثل قوله تعالى: "لكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين". وإما للتفاؤل بما يسر المخاطب في نحو قوله:

سعدت بغرة وجهك الأيام ** وترزنت بلقائك الأعوام

وإما للتشويق، في نحو بيت الشعر:

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها ** شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر.^{١٩}

وذكر في متعلقات الفعل بما مفاده "رد الخطأ في التعيين من وقع عليه الفعل، نحو نَحْنُ كَلِمَتُ، وللتخصيص في مثل قوله "إياك نعبد وإياك نستعين"، للاهتمام بالمقدم وغير ذلك.^{٢٠} وأما بالنسبة لما نحن فيه (الأسلوبي أو الانزياحي) فإنما يؤتى به لأجل خلق صورة فنية لا يمكن أن تتحقق إلا به، ثم أغراض أخرى سبق للباحث ذكرها مثل التلذذ، المفجأة، الجاذبية، الضرورة إلى آخر ما هنالك.



بلطف ظلك يا شكراه أعتصم ** وتحت ريحانه الأشواق تزدحم
متى بدوة بدت دنيائي راقصة ** كأن وجهك سحر فيه مرتسم
أحب ما فيك حبا لا حدود له ** أزيد حبا إذا ما افتر منك فم
أسرت حسى كطير شد في قفص ** فسحر عينيك فيه القلب يلتحم
ملأت قلبي شيئا لن أعرفه ** وعن تفاسيره قد يعجز الكلم
في مقلتيك أرى دنيائي في صور ** جميلة أين من لمعانها نجم
يجرى كلامك في أذني فأحسبه ** ماء على قلب عطشان ويتسم
فلا أبالي بواش غبطة وهوى ** فإنني: بك عن وسواسهم صمم
عكفت عقلي طويلا فيك بارحة ** يقود أخيلتي فهمي الذي يهم
فقلت يا نفس ما يرضيك فابتسمت ** قالت : ففيك مزايا الخير تنسجم
أبقاك ربي كروض لا تنغصه ** خصومة - ما تلا تال- ولا السأم

صور من المظاهر التي تأتي فيها التقديم ودراسته

وفيما يأتي جملة من ظاهرة الانزياح النحوي أو التقديم حسب ورودها في القصيدة، ثم تحليلها تحليلًا بلاغيًا.

في مقلتيك أرى دنيائي في صور ** جميلة أين من لمعانها نجم^{٢١}

يبدو الانزياح جليا من هذا البيت من حيث التبادل المكاني بين شبه الجملة ومتعلقه، وهذا ظاهرة في تقديم (في مقلتيك...) على "أرى دنيائي"، الأصل فيه أن يكون (أرى دنيائي في مقلتيك) لكن الشاعر عدل عنه وانزاح إلى أسلوب التقديم ليحقق غاية انزياحية وفائدة أسلوبية اعتبره الباحث فيما يأتي .

اعتبار بلاغي

وهذا يتمثل في انتباه المتلقي وإشعاره الموضع الذي كان فيه الحساء في سويد صدره وساحل قلبه إضافة إلى ذلك شدة عظمتها وجلالتهامضائتها التي تفوق نور النجم، والتخصيص لفظ "المقلة" دون غيره مما يرادفه مثل العين يفيد الاختصاص من حيثيتين من حيث اللفظي حيث إذا استخدم الشاعر لفظ العين لذهبت نكتة التبجيل والتعظيم الحصري التي يحرص عليها، إذ اللفظ لا تراحم في



معناه كما كان للعين ومن حيث المعنوي فإنه يقصد الحسناء لا غيرها لأجل إدراك هذه طموحة يقول الزركشي ما نصه شبه الجملة الخمسة وعشرين غرضاً منها - العناية والاهتمام والتوكيد والتخصيص والقصر والتعظيم^{٢٢} وقد قدم شبه الجملة "في مقلتي" في هذا النص الشعري لأجل العناية بالحسناء.

اعتبار إيقاعي:

وهذا يتمثل في حرص الشاعر مراعاة السياق الوزني والتفعيلة القصيد لأنه إذا لم يتم بهذا التقديم ولم يدهشنا بهذا الانزياح لدخل البيت انكسار وثقل وتسلل إلى صدر البيت خلخلة. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تتمثل في العجز البيت وذلك في قوله: "أين من لمعانها نجم" فالجملة أدخلت فيها الخرق الترتيبي إلا أنه يكشف عن غايته وفائدته وطموحاته الانزياح عن طريق بعد نحوي واعتبار هندسي دلالي.

الترتيب العادي والنظام السطحي للمبتدأ أن يكون معرفاً سواء تقدم عليه خبره أو شبه الجملة، نحو قبلتنا الكعبة وقائم زيد وتيمى أنا، وإتيان نجم نكرة أهنا لأجل البعدين الجماليين الأول البعد النحوي: المتمثل في افتراضية النحويين صدارة بعض الأسماء والتي منها الاستفهام وأخواته إذ لا يجوز نحويًا: المفر أين؟ أو الكتاب أين؟ وهذا أول ما لجأ ودفع الشاعر إلى تقديم شبه الجملة التي تفضل به سعاده^{٢٣}.

ومن ظاهرة الانحياز النحوي ما في قوله:

بلطف ظلك يا شكراه أعتصم ** وتحت ريحانه الأشواق تزدحم

أحب ما فيك حبا لا حدود له ** أزيد حبا إذا ما افتر منك فم

فلقد تقدم "شبه الجملة على الفعل في مطلع هذا البيت لحكمة أسلوبية وغاية انزياحية مفادها احتفاظ الشاعر على السياق العروضي المتمثل من مطابقة صدر البيت بعجزه استجابة للقاعدة العروضية التي تجب ذلك، فهذه الخبرة تعتبر دليلاً يعرف به مدى رعاية الأديب قوة نقل الشعور إلى الغير عن طريق الشعر بإقامة الأوزان من دون التكلف ولا كدّ القرائح.

الخاتمة :

لقد تناول الباحث فيما سبق الحديث حول اصطلاحية اللفظ "انزياح" من حيث مدلوله المعجمي والدلالي وطريق أصحاب تفسير المصطلحات في معنى لفظ الانزياح، كما ركز أخيراً على الدراسة النموذجية لأسلوب التقديم والتأخير لكي يعطي القارئ خلفية حية حول الرسالة وكتابها.



بجانب ما ذكرنا حصل الباحث على مجموعة من النتائج والتي ستسهم إن شاء الله في تطور البحث العلمي في هذه الديار فيما بعد منها:

- إن لظاهرة الانحياز النحوي دورا فعالا في جمالية النص الشعري عامة.
- للانحياز الشعري دور فعال في البناء الدلالي للنص الشعري.
- للانحياز الشعري أغراض ثلاثة، وهي الغرض النحوي، والعروضي والبلاغي. ولكل واحد منها دوره في بناء القضية شكلا ومضمونا ودلالة.

المواش والمراجع

١. محسني علي أكبر (الدكتور)، الانزياح في الشعر العربي المعاصر : دراسة نقدية مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد الثاني عشر ٢٠١٣م، ص ٧، و صونيا لوصيف سارة كرمش: الانزياح الدلالي في الألفاظ العربية (معجم العين نموذجاً)، بحث مقدم لقسم اللغة العربية وآدابها استكمالا لبعض متطلبات نيل شهادة الماجستير في جامعة متوري الجمهورية الجزائرية ٢٠١٥م، ص: ٤
٢. سليم سعداني : الانزياح في الشعر الصوفي رائية أمير عبد القادر (نموذجاً)، بحث مقدم لقسم اللغة العربية والأدب العربي جامعة قاصدي مرباح الجمهورية الجزائرية ضمن متطلبات شهادة الماجستير ٢٠١٥م ، ص ٢٦ ،و علي نظري وآخرون : ظاهرة الانزياح في شعر أدونيس ،مجلة دراسات أدب المعاصر، السنة الخامسة ربيع ١٣٩٢ ،العدد السابع عشر، ص ٩.
٣. صونيا لوصيف ٢٠١١م ،المرجع السابق ص ١٣/١٤
٤. لوصيف ،٢٠١١م، نفس المرجع ص ١٤/١٥
٥. محسني ،٢٠١١م ،المرجع السابق ص ٨
٦. سعداني ،٢٠١٠م،المرجع السابق ص ٢٥
٧. علي نظري ،٢٠١١م ،المرجع السابق ص ١١
٨. سعاد بولخوش :شعرية الانزياح بين عبد القاهر الجرجاني وجان كوهان ،بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير بكلية الأدب واللغات الأجنبية قسم اللغة العربية والأدب العربي ،جامعة مؤتة ٢٠١٢م ،ص ٢٢



٩. الرمحشري، ١٩٩٨م، مادة (ق د م) ص ٥٨-٥٩

١٠. أحمد غالب النوري الخرشنة، أسلوبية الانزياح في النص القرآني، رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا استكمالاً لمتطلبات الحصول على الدرجة الدكتوراه في النقد والبلاغة، قسم اللغة

العربية وآدابها جامعة مؤتة، ٢٠٠٨م ص ١٥١/١٥٢

١١. عبدالقادر زيان ٢٠١٢م ص ٥٣

١٢. عبد القادر بن ريان، ٢٠١٢م ص ٥٣

١٣. المراغي، ص ١٢٦

١٤. المراغي ص ١٥٣

١٥. غالب النوري ٢٠٠٨م ص ١٥٢

١٦. غالب النوري ٢٠٠٨م ص ١٥٢

١٧. غالب النوري ٢٠٠٨م ص ١٥٢

١٨. غالب النوري ٢٠٠٨م ص ١٦٠

١٩. المراغي ص ١٢٦/١٢٧

٢٠. المراغي ص ١٢٨

٢١. أبو عبد الله، هبة الله إسماعيل: حديث النفس: ديوان شعر، ط ١/ ٢٠٠٤م مطبعة

Golden World Business center، ص ٩٦

٢٢. الزركشي، ١٩٥٧م، البرهان في علوم القرآن، طبعة منقحة، ص ٢٧٤/٢٣٨

٢٣. ابن هشام، ٢٠١١م، قطر الندى وبل الصدى، ص ١٢٨/١٢٩

٢٤. ابن هشام، ٢٠١١م، المرجع الساب ق، ١٢٨/١٢٩